



A KATALYST FOR CHANGE AMONGST THE YOUTH OF THE NEAR EAST

فهم الشبيبة

WWW.KATALYSTNE.NET



فهم الشبية

بقلم كارن تشنوزيان

إن مراقبة الناس طريقة لهوٍ عظيمة وتجربة رائعة، ويتوقف ذلك طبعاً على الأمر الذي يثير اهتمامك. أما بالنسبة إليّ إنّ ما يشدّ انتباهي دائماً هو الشباب اليافعين وسلوكهم. كنت يوماً أنتظر شخصاً في الشارع عندما تنبّهت إلى أنّني كنت بالقرب من مدرسة. وإذا كنت أراقب الطلاب يتدفقون من بوابة الخروج مندفعين إلى الشوارع، لاحظت مجموعة من الفتيات وهنّ يسرن إلى بيوتهن. لقد كنّ أربع لا يتجاوزن الرابعة عشرة من العمر وكان لدي جميعهنّ تسريحة الشعر نفسها، والظلّ البنيّ اللون نفسه على وجوههنّ. وكذلك كنّ يلبسن نوع الحذاء نفسه (كلّ منهنّ بلون وتصميم مختلفين)، وكنّ كلهنّ يحملن نوع الحقيبة نفسه (حقائب ظهر) وأيضاً، كلّ منهنّ بلون مختلف. كنّ يتحدثن عما حدث في المدرسة ذلك اليوم ويتشوقن للوصول إلى بيوتهنّ ليتمكّن من الدردشة مع بعضهنّ على الـ MSN..

وإذا كنت أقود سيارتي عائدةً إلى البيت من العمل ذات مساء، وعلقت في زحام سير شديد. وعند أحد التقاطعات، نظرت في المرأة الجانبية فرأيت فتىً على دراجة نارية ينحني إلى الأمام لينظر إلى البعيد وهو بين صفوف السيارات، ثم انطلق محاولاً المرور بين الصفوف بقيادة متعرجة بين السيارات. ولثواني معدودة، كان يوازن الأمور وظنّ بإمكانه القيام بما أراد، ولكنّه لم يتوقع) أو ربما توقع (أنّ رجلاً أكبر عمراً سيأره في مرآته الخلفية ويقفز من سيارته ويوقفه، ليس هذا فحسب، بل يصرخ في وجهه لأنّه فتى غير ناضج ولا مبالي!

إنّ الشباب اليافعين محيّرون وممتلئون بالحياة. هكذا خلقهم الله. غير أنّنا، نحن البالغين وبشكل ما أثناء عملية نموهم، لا نفهم كيف يتصرّفون. تتشكّل بقيّة هذا الفصل محاولة للعودة في الذاكرة والزمن، وربما استعادة جزء من تاريخك الشخصي. من المضحك كيف ننسى بسهولة ما كانت عليه الأمور حين كنا يافعين. نبدو وكأننا لا نريد أن نرجع إلى تلك المرحلة من حياتنا. إنّنا ننسى أنّه يجب علينا إعطاؤهم ما يحتاجون إليه من صبرٍ ومحبةٍ وتأديبٍ لكي ينموا إلى أشخاص بالغين مستقلّين (متعاضدين) (متكّلين على الله ومحبين).

يذكر رافي زكريّا Ravi zacariah في أحد كتبه أنّ شباب اليوم هم بطريقة ما في خطرٍ مميت. إنهم يعيشون في عالمٍ يستطيعون فيه من خلال الضغط على مفتاح الحصول على أيّ معلومات متوقّرة، وأيّ نوع من المعلومات التي من المحتمل أو بالتأكيد قد تسلبهم براءتهم وتفسدها. إنّهم يتصرّح التالي: «كيف تستطيع الوصول إلى شباب يسمع بعينيه ويتخذ قرارات مبنية على مشاعره لا غير؟»

وسنحاول في الصفحات التالية تشريح هذا التصريح. هلّ الشباب عاطفيون إلى حدّ زائد؟ أم هل يحبّون بشغف؟ هل يتخذون قرارات مبنية على المشاعر لا غير؟ أو هل هم صادقون في مشاعرهم؟ ما الذي يحصل خلال هذا الوقت المثير من حياة الشخص؟ هل ارتكب الله خطأً بسماحه لكلّ هذا التشويش وهذه الحيرة وهذه التصرفات المتطرّفة بأن تكون جزءاً من عملية نموّ الشباب اليافعين؟ لماذا يتمّ تناول جميع المواضيع الخاصة بالمراهقين من قِبَل علماء النفس والوالدين والعاملين مع الشباب والمعلّمين على أنها 'مشاكل'؟ أفكر ماذا ستكون 'المشاكل' لو كان الباحثون والكتاب شباباً يافعين بدلاً من أن يكونوا بالغين؟

لطالما شكّل عدم فهم العالم البالغ للشباب مشكلةً حتى أنّ سقراط قال:

«يحبّ شببيتنا الرفاهية. إنّ سلوكهم سيء ، فهم يحتقرون السلطة؛ ولا يُبدون الاحترام لمن يكبرهم عمراً ويحتون الثروة بدل التمارين. لقد أصبح الأطفال في هذا الوقت مستبدّين لا خدام في منازلهم. ما عادوا يقفون عندما يدخل الكبار الغرفة. إنهم يعارضون والديهم ويثرثرون بوجود الآخرين ويلتهمون طعامهم ويستبتون بمعلميهم».

ولم يتغيّر شيء عبر القرون ، أليس كذلك؟ لا يزل هذا التصريح يحدّد ما يفكّر به معظم الناس عن الشببية. هل من الصعب فعلاً التعامل مع شباب اليوم؟ أم ، هل هذه مشكلة معمرة ونحن البالغون لسنا ببساطة قادرين على التعاطي معها ، لذلك تصبح مشكلة. يبدو أن كل جيل من الشببية يجلب تحدياً للبالغين الذين يسبقونهم. دعونا نحاول أن نعرّف مصطلح مراق.

ما هي المراقبة؟ قد يوضّح الجواب أموراً كي تعرّف ما نتحدّث عنه. يبدو التعريف البسيط واضحاً في البداية ، لكنّه سرعان ما يصبح مشوّشاً. إنّها مرحلة من الحياة بين الطفولة والنضوج. ولكنّ ، متى تنتهي الطفولة وتبدأ مرحلة النضوج؟ هذا سؤالٌ تصعبُ الإجابة عليه على نحو متزايد ، وبخاصةً في الشرق الأوسط. ففي منطقتنا ، كما في سائر أنحاء العالم ، ثمة براهين تجعلنا نقترح أنّ المرحلة التي أشرنا إليها على نحو تقليدي على أنّها مراقبة ، تبدأ في مرحلة مبكرةٍ وتنتهي في مرحلة لاحقة في الحياة. وفي هذا الصدد ، يستخدم جفري جنسن أرنيت Jeffrey Jensen Arnett مصطلح «النضوج الناشئ» ليصف فترة التي تمتدّ بين المراحل الأخيرة من المراقبة والمراحل الأولى من النضوج «الكامل». ويُعتبر هذا المصطلح مفيداً للعديد من «الشباب اليافعين» كطلاب الجامعة مثلاً الذين قد لا يرغبون بأن نشير إليهم بعد الآن كشببية ، غير أنّه لا يزال أمامهم بعض أدوار البالغين التي يجب أن يضطلعوا بها ، كالعمل ، والزواج ، وتكوين عائلة ، إلخ.

إنّ المراقبة مرحلةٌ مُختلفة من الحياة يُعطى فيها للشببية اليافعين دوراً غامضاً يلعبونه—بما أنّهم ليسوا أطفالاً ولا بالغين ، من هم أذا؟ في معظم الأوقات ، يقوم الشببية بتعريف أنفسهم فيختارون هوية لأنفسهم ، ويعلنون خيارهم لتلك الهوية بواسطة ظاهرة ثقافة الشببية الخاصة بهم والمعبرة عن نفسها. وتظهر هذه الثقافة عادةً في أشكالٍ متعدّدة كالموسيقى وأنماط اللباس وتكوين الكلمات الخلاقية. (إنّه من المثير للنظر إلى لغة الإنترنت الخاصة التي أبتدعها الشببية

—الاختصارات التي يستعملونها في خلال الدردشة عبر الإنترنت أو الرسائل النصّية بواسطة الهواتف النقالة). أما فيما يتعلّق بهدف هذا الفصل ، سوف نستخدم مصطلح الشببية للإشارة إلى أولئك الذين يبلغون بين ١٢-١٩ عامًا. ويشار أيضاً إلى هذه المجموعة العمرية بالمراقين ، غير أنّنا سنستخدم مصطلح الشببية.

4U	I have a question for you	عندي سؤال
831	I love you (8 letters, 3 words, 1 meaning)	أحبك (باللغة الإنكليزية: ٨ أحرف، ٣ كلمات، ولها معنى واحد)
6Y	Sexy	مثير
9	Parent is watching	يراقبني أهلي
AITR	Adult in the room	أحد الراشدين في الغرفة
ASLA	Age/sex/location/availability	العمر/الجنس/المكان/الزمن
BOYF	Boyfriend	رفيق
G/F	Girlfriend	رفيقة
GRWG	Get right with God	كن مستقيماً مع الله
H&K	Hugs & kisses	عناق وقبلات
ZZZZ	Sleeping (or bored)	نائم (أو ضجران)
YWHOL	Yelling «woohoo» out loud	صيحة فرح بصوت عالٍ
YCMU	You crack me up	أضحكتني كثيراً
WUP	What's up?	ما الأمر؟
WRUD	What are you doing?	ما الذي تفعله الآن؟
TLK2UL8R	Talk to you later	نتكلم لاحقاً
T4BU	Thanks for being you	شكراً لأنك كنت صادقاً
PRW	People/parents are watching	يراقبني أهلي أم بعض الأشخاص
MYOB	Mind your own business	لا تتدخل بأمور لا تخصك
MGBU	May God bless You	باركك الله
LYLAS	Love you like crazy	أحبك بجنون
LMBO	Laughing my butt off	أفجرت ضحكاً
LHM	Lord help me	ساعدني يا رب
:)	Standard smile	ابتسامة
:(Sad or frown smile	تكثيرة أو ابتسامة حزينة
:PS	ticking tongue out (raspberry)	لسان ممدود (استهزاء)
:-----)	Long nose (Liar!)	أنف طويل (كاتب!)
-O	Yawn	تثايب
d[-_-]b	DJ with headphones	منسق موسيقى يضع سماعتين

للحصول على لائحة بهذه الاختصارات والوجوه المعبرة زوروا الموقع التالي:

http://www.webopedia.com/quick_ref/textmessageabbreviations.asp

سوف نقوم باستطلاع عالم شخص من الشببية مركزين على مراحل النمو الخاصة بالمراهقة محاولين لبعض الوقت التعاطف مع ما يمر به الشببية.

النمو الجسدي والبلوغ الجنسي:

إن إحدى أكبر التغيرات في بداية المراهقة المبكرة هو البلوغ الجنسي-طفرة النمو. تكون أجسامهم في حالة نمو، أو على وشك أن تبدأ بالنمو بشكل أسرع من أي وقت آخر في حياتهم باستثناء المرحلة التي كانوا فيها حديثي الولادة. وفي هذه المرحلة يصبح بإمكان الشببية التكاثر لأول مرة. وتحدث هذه التغيرات الجسمية لأن هرمونات النمو لديهم تقوم بإرسال إشارات إلى أجسامهم لتنمو فيتغير الجسم بكامله-الدماغ والجلد والعظام والعضلات-ويتغير حتى شكل أجسامهم. ولا يتغير كل الناس بالطريقة نفسها وفي الوقت نفسه. تحصل لبعض الشببية طفرة نمو مفاجئة بينما لبعضهم الآخر، يأخذ التغيير شكلاً تدريجياً وعلى مدى أطول. قد تشكل هذه

المرحلة وقتاً عصيباً للشبيبة من الناحية النفسية إذ تتشكّل لديهم توقّعات كاذبة عن " كيف كان يجب " أن يكون مظهرهم، و"كيف كان يجب" أن يسير نموهم مقارنةً مع الآخرين. من المهمّ جداً أن تساعد الشبيبة على معرفة قيمتهم بالرغم من مرحلة النموّ الجسدي التي يمرّون به، وكذلك مساعدتهم على عدم القيام بمقارنات غير صحيّة مع أترابهم، لأنّ مقارنة "القلب الواحد الذي يلاعب جميع المراهقين" من الناحية النمو الجسدي غير موجودة!

وفي نهاية مرحلة النموّ هذه، يظهر الشبيبة بشكل أشخاصٍ بالغين مكتملي النموّ! ويكون النموّ أحياناً غير متوازن، فقد ترى شباناً بأذرع وأرجل طويلة وجسم أقصر، غير أنّ هذا يعود فيتوازن في النهاية ولا يكون عادةً نموّاً مقلّماً. (* في حال تأخر النمو بشكلٍ ملفتٍ، أو كان غير اعتيادي، يستحسن استشارة الطبيب).

و غالباً ما يُنهم المراهقون بأنهم لا مبالين ومتهورين، غير أنّ هذا يشكّل جزءاً طبيعياً من النموّ الجسدي فيما هم يعتادون كلّ جديد طراً على مقاسهم، وشكلهم، وقدرتهم، إلخ. , ويتعلّمون كيفية التأقلم معه. والجدير بالذكر، إنّ طريقة تفاعل الناس معهم في هذه المرحلة قد تؤثر على ثقتهم بنفسمهم وتقديرهم لذاتهم. ونضيف أنّ بعض وظائف الجسم كالدورة الشهرية عند الفتيات، والاحتلام عند الشبان، قد تولّد لديهم القلق، والخوف، والحيرة والحرّج. يُعتبَرُ هذا الوقت مرحلةً دقيقةً من حياة العديد من الشبيبة، وقتاً يحتاجون في إلى الدعم والقبول.

قد تبدأ دورة الحيض الشهرية لدى الفتيات باك أ ر أي في العاشرة من العمر، غير أنّه يجب في عمر الرابعة عشرة أن تكون قد بدأت أوّل دورة حيض لدى معظم الفتيات. ويرافق هذا الحدث طفرات نموّ، ونموّ النهدين والشعر على جسمها، وإدراك متزايد لهويّتها الجنسية. .

تبدأ طفرات النمو لدى الفتيان، ومن ضمنها نمو الأعضاء الجنسية الخارجية في الثانية عشرة أو في الثالثة عشر. وفي الخامسة عشرة، يصبح صوت الفتى عرّشاً وينمو الشعر ليس في جسمه فحسب، بل في وجهه أيضاً. ويكون هذا علامة أنّهم يستطيعون الحلاقة كالرجال! ويشكّل هذا الأمر اختصاراً ذات أهمية بالنسبة إلى بعض الفتيان الذين يريدون أن يظهرون بمظهر البالغين. ويتمّ بلوغ النضوج الجسدي على نحوٍ نموذجي في الثامنة عشرة، ولكن البعض يستمرّون في النمو حتى سن العشرين.

وتحسّن مساعدة الشبيبة على البقاء أصحّاء وعلى العناية بأنفسهم. وفي هذه المرحلة الممهّدة للبلوغ، يجب أن يتعلّموا المحافظة على نظافتهم وتناول الطعام الصحي وممارسة التمارين الرياضية والنوم على نحوٍ كافٍ. وفي عصر التقدم التكنولوجي، يبدو بشكل متزايد أنّ الشبيبة لا يمارسون ما يكفي من الرياضة ولا يمتلكون الفرصة لتصريف طاقتهم في اللعب أو الأنشطة الجسمية. واعلموا أنّ في هذه المرحلة، قد يشعر بعض الأشخاص بالحرّج لدى مشاركتهم في النشاطات الرياضية وذلك لأسبابٍ جسديّة ونفسية، وهذا أمرٌ طبيعيّ.

إنّ فهم تأثير سن البلوغ الجسدي والنفسي الذي يختبره الشبيبة سيساعدك على التعاطف أكثر مع الشبيبة الذين تخدم بينهم. وغالباً ما يكون مفيداً أن تحاول الرجوع بالذاكرة إلى اختباراتك الشخصية كي تتمكن من مساعدة

الشبيبة فيما هم يمرّون باختباراتهم الشخصية – والفريدة. والجدير بالذكر أنّ نطاق النموّ الجسدي والجنسي يُعتبَر نطاقاً حساساً. وكقائدٍ شبيبة من المهم جداً أن تضمن برامجك ومن المناسب جداً حضارياً أن تدعم علاقاتك مع الشبيبة، الذين أحياناً المتحدّرين من عائلات مترابطة وتقليديّة. قد تفكّر في تنسيق بعض الحصص لمجموعة من الشبيبة تغطّي بعض هذه المسائل وتسلّط الضوء على أنّ الله هو من خلق عمليّة النموّ الجسدي والجنسي ونسقها. من المهم جداً استخدام الموارد المناسبة وقد يكون مناسباً أكثر إذا أمكن تشكيل فرق من جنسٍ واحد.

مظاهر الهوية الجنسيّة في عمر المراهقة

تشكّل الهوية الجنسيّة جزءاً كبيراً من هويّة المراهقين الشاملة، بينما تشكّل للبقية جزءاً أصغر. وكسائر البالغين، يملك الأحداث هويتين جنسيتين واحدة خاصة وأخرى عامّة. إنّ الهوية الجنسيّة في عمر المراهقة ليست دائماً ثابتة ومستقرّة، بل قد تكون مقلقة ومتغيرة مع مرور سني الأحداث أو حتى طوال الحياة. تشتمل مظاهر الهوية الجنسيّة الأساسيّة على ما يلي:

1. تقدير الذات-كيف يقيم الشبيبة أنفسهم
2. حياة التخيل-أي ما يصوّره الشبيبة في أذهانهم في ما يخصّ حياتهم الجنسيّة.
3. التوجّه (الواط , الاتصال الجنسي مع كلا الجنسين، الاتصال الجنسي بين الجنسين). تُعتبَر عمليّة اكتشاف التوجّه الجنسي مرحلةً مبركةً للعديد من الشبيبة. وبالتالي على قادة الشبيبة ألا يدينوا الشبيبة فيما هم يسعون إلى دعمهم.
4. جوانب بيولوجيّة (تتضمن القدرة على المتعة الجسديّة)، والغرائز الجنسيّة، ومستوى النموّ الجسدي.
5. الرغبة والمرغوبية-كيف ينظرون إلى أنفسهم وإلى الآخرين على أنّهم كائنات جنسيّة.
6. الخصوبة والجانب التناسلي للحياة الجنسيّة.
7. العلاقات (على سبيل المثال مع الأهل، مع الشريك الجنسي، أو مع الشريك المحتمل أو المرغوب فيه جنسياً).
8. الجنس ودور الجنسين. إنّ هذه خصائص وتصرفات يحددها المجتمع وحضاراتٍ معيّنة بما يلاءم الأعضاء من كلا الجنسين. فتؤثّر الثقافة، بالإضافة إلى ثقافة الشباب العالميّة، مباشرةً على أدوار الجنسين في عمر المراهقة، وكذلك تؤثّر على هويّتهم الجنسيّة. ومن جديد نذكر أن التأثير يختلف بحسب المراهق وقد يتغيّر مع النموّ.
9. أحداث الحياة (على سبيل المثال فقدان أحد الوالدين أو شريك، صدمة، تحطّم علاقة، واختبارات سلبية ضمن علاقة أو علاقات).
10. سلوك جنسي (على سبيل المثال الصور الخلاعيّة، الإستمناء باليد، العلاقة الجنسيّة، ونشاطات جنسيّة أخرى).
11. الروحانيّة. تُعتبر الحياة الجنسيّة موضوعاً معقّداً لكافة الأحداث، فغالباً ما يثير أسئلةً على نطاقٍ أوسع عن طبيعة الوجود، وعن معنى الحياة، إلخ. أما الشبيبة الذين يتصارعون مع هويّتهم الجنسيّة، والتوجّه الجنسي،

فقد يطرحون الكثير من الأسئلة المعقدة عن الروحانيّة وعلاقتهم مع الله. وهذا الأمر قد يثير أسئلة كالتالية «لماذا خلقني الله هكذا؟» أو «هل يمكنني أن أكون مؤمناً ولوطياً» في الوقت نفسه؟

النموّ الذهني

يكون النمو الذهني مثيراً في هذه المرحلة. يغيّر الشببية في هذه المرحلة كيفية فهمهم للأمور ويتعلّمون كيف يفكّرون بأنفسهم وكيف يكون لديهم أفكار ونماذج فكرية منطقية، ومخطّط لها جيّداً، ومنظمة. ونتيجةً لأفكارهم هذه، يكون الشببية مولعين بغايات مثل العدالة الاجتماعيّة وحقوق الإنسان ومكّرسين لها. وفي هذه الفترة، يبدأ الشببية بالتساؤل حول أمور تعلّموها عبر السنين. فقبل سنوات المراهقة، لا يكون الشاب قد حلّل المفاهيم كالإيمان، ما يؤمن به وما لا يؤمن به.

فإن كان الشخص قد تربي في بيت مسيحي، لا يكون قد تساءل عمّا تمثّله المسيحيّة، بل دعا نفسه مسيحياً بشكل رئيسي لأن والديه أو عائلته قالوا أنه كذلك. أما الآن، فقد أصبح يمتلك المقدرة على التقرير بنفسه واكتشاف إن كان إيمانه الشخصي حقيقياً. تبحث الشببية فعلاً عما يرونه هم حقيقياً. سوف نلقي نظرة مختصرة على نظريّتين عن النموّ الذهني: بياجيه Piaget و يوجوتسكي Vygotsky.

يقول بياجيه Piaget أن التطور الذهني يمرّ بأربع مراحل:

١. المرحلة الحسية الحركيّة (السنوات ٠-٢).
٢. مرحلة ما قبل العملائيّة (السنوات ٣-٦).
٣. العملائيّة المجسّدة (السنوات ٧-١١).
٤. العملائيّة المجرّدة (السنوات ١١-١٥).

في المرحلة العملائيّة المجسّدة، يستطيع الصغار القيام ببعض العمليات -كاستعمال اللغة للتواصل بشكل أفضل. ويحل التفكير المنطقي محل الفكر البديهي لكن ذلك يكون مقتصرًا على الأمثلة الماديّة، فهم يؤسسون منطقهم على ما يستطيعون مشاهدته ولمسه ولا يكون تفكيرهم مجرداً في هذه المرحلة. وهكذا، عندما يدخل الشببية في المرحلة العملائيّة المجرّدة، يبدأون بالتفكير بشكل تجريدي فيصدرون أحكاماً بحسب ما يفهمون أنه الصواب ويكون تفكيرهم مثاليًا—يعكس الخصائص المثالية في أنفسهم والآخرين والعالم. وفي هذا العمر، يبدأ الشببية بالتفكير كما يفعل العالم، أي يضعون خطّاً لحلّ المشاكل والاختبارات المنظمة لهذه الحلول، وهذا لا

يعني بأي شكل من الأشكال أن التلاميذ الجيدين في المواد العلميّة في المدرسة هم أفضل تفكيرًا من غيرهم، فهذه قضية نمائية أخرى.

منذ بعض السنين، علّمت في مدرسة فتيناً في الثانية عشرة من العمر. وكان أحد الصفوف أكثر حيويّة وإبداعاً من الصفوف الأخرى. وفي أحد الأيام، عندما كنت أدخل الصف، كان معظم التلاميذ يضحكون ويستهزئون بأحد زملاءهم ولاحظت مباشرة أن ذلك الفتى كان منزعجاً ويتصبّب عرقاً. وسألته ما كانت المشكلة، لكنّه لم يكن يبدو راغباً في التحدث عنها. ولاحظت أيضاً أن سبب تعرّقه كان ارتداءه سرواله الشتوي السميك وكنا قد قضينا وقتاً لا بأس به من أوائل الصيف. وفي هذه الأثناء، صرخ أحد التلاميذ قائلاً: يا آنسة، انظري إلى رجليه، دعيه يرفع أرجل سرواله! انظري! إنه مضحك جداً» نظرت إلى الفتى فقام برفع رجل سرواله ليريني رجله، وعندها رأيت أنه كان قد حلق شعر رجليه ولذلك كان يشعر بالخجل. سألته لماذا فعل ذلك وكان الجواب بسيطاً: «لا أعرف يا آنسة، فضولية فقط!» لقد ظننت أن الأمر سيكون مثيراً حقاً! أحياناً يقوم الشبيبة بأمرٍ لأنهم فضوليّون، أو ببساطة لأنهم يستطيعون فعلها! وما يبدو منطقياً بالنسبة إليهم، ليس بالضرورة منطقياً بالنسبة إلى البالغين. بالطبع، إن كان يؤذون أنفسهم، يجب على البالغين التدخّل.

لذا من الجيد الاطلاع على نظرية بياجيه Piaget أنّها ضروريّة في معرفة المزيد عن النّموّ. غير أن نظريّة فيجوتسكي Vygotsky تلقي نظرة على الشبيبة والثقافة التي يتربون فيها، فهو لا يركّز على مراحل، بل يقول أن التطور الذهني للشخص هو نتيجة البيئة التي يكبر فيها. إنه يجادل في أنّ المهارات التعلّمية التي تُعلّمها حضارة ما للشخص (يدخل ضمن ذلك اللغة والتقاليد والمهارات الاجتماعية والإرشاد من قِبَل البالغين أكثر مهارة) هي ناحية مفتاحيّة أساسيّة في النّموّ والتطور الذهني. وهذا قد يعني أن تعاملنا مع الأطفال والشبيبة بتعليمهم وتوجيههم والتحاور معهم قد يَشكّل الطريقة التي يتطورون ذهنياً بواسطتها. إنهم يراقبون الناس الذين يتعاملون معهم والعلاقات المحيطة بهم وبذلك يَشكّلون مفهومًا عن المجتمع الذي يعيشون فيه. ونحن في الشرق الأوسط لدينا ثقافة غنيّة إلى درجة لا تستطيع تعليم الشبيبة تقاليد جيدة فحسب، بل تحرّضهم أيضاً على أن يفكّروا بطريقة صحيحة. والتحدّي للبالغين هو أن الشبيبة سيتحدون القوانين والأنظمة، فهم يريدون أن يعرفوا لماذا

الأمور هي كذلك. يريدون أن يعرفوا لماذا لا يستطيعون مشاهدة التلفاز قبل إنهاء وظائفهم المدرسية؛ ولماذا يجب عليهم الذهاب إلى الكنيسة كل يوم أحد؛ ولماذا لا يستطيعون ارتداء ما يريدون. قد يكون ذلك مخيبًا، ولكنه قد يكون مثيرًا جدًا وفيه تحدٍ كبير لأولئك الذين يعملون من بيننا مع الشبيبة! أليسوا مبدعين؟!



التطور الاجتماعي - النفسي

فيما تتغير أجسام الشبيبة وتطور قدراتهم الفكرية، ينضجون عاطفياً أيضاً. وعلى الرغم من أن الشبيبة قد يبدون أحياناً وكأنهم يتعرضون لجرعات زائدة من الهرمونات، ورغم أنهم قد يبدون وكأنهم يتصرفون بجنون ومزاجية، لكنهم في الحقيقة يحاولون استيعاب كل التغيرات التي يمرون فيها. وقد يكون هذا الوقت مربكاً بشكل جدي! قد يبدو الفتى في البداية شديد الأنانية مفكراً بنفسه واحتياجاته. يقول بعض علماء النفس أن الشبيبة غالباً ما يعتقدون أنهم على المسرح أمام مشاهدين وهميين. إنهم وواعون جداً لكيفية ظهورهم ويؤسسون معظم مفاهيمهم عن أنفسهم على أدائهم ومهاراتهم الاجتماعية، وكذلك على آراء أترابهم. وبما أنهم يحاولون اكتشاف من هم وما هو هدفهم في هذه الحياة، يصبحون متمحورين حول ذاتهم. إن مفهوم الشاب لنفسه مرتكز جزئياً على الأدوار المتعددة وعضوية التصنيفات التي تحدد من هو - كيف ينظر إلى نفسه وشعوره بالقيمة التي يعطيه إياها الآخرون. غالباً ما تكون التعليقات السلبية في حياتهم، والتي يقولها عنهم البالغون، وكذلك أترابهم المهمين، حاسمة في تكوين تقديرهم لأنفسهم. إن الوالدين والمعلمين وأفراد العائلة والعاملين الاجتماعيين وسط الشبيبة وغيرهم لا يدركون إلى أي مدى يمكن لتعليقاتنا أن تؤثر على التقدير الذاتي وتكون عناصراً ضعيفاً لدى الشبيبة. عندما كنت طفلاً، أتذكر أنني كنت أنشد بيت الشعر التالي أثناء الفرص: فعالة تفرض تقديرًا ذاتي وكم هو مخطئ هذا القول! إن الألم «تستطيع العصي والحجارة أن تؤذي عظامي، لكن الكلمات لا تستطيع أبداً إيذائي!» الناتج عن الضرب بالعصي والحجارة يمكن نسيانه والشفاء منه، ولكن الألم الناتج عن الكلمات أعمق ويترك آثار جراح طويلة المدى. إن الوالدين والأتراب يؤثرون بشدة على التقدير الذاتي الإيجابي.

وبناءً على الأبحاث، توجد هنا بعض الصفات لتربية الأهل مرتبطة بالتقدير الذاتي المرتفع لدى الشبيبة:

- التعبير عن العواطف
 - الاهتمام بالمشاكل
 - الانسجام المنزلي
 - المشاركة في الأنشطة العائلية
 - وضع قوانين عادلة وواضحة وتقييد البالغين بهذه القوانين
 - والسماح بالحرية ضمن حدود مبيّنة بوضوح.
- إن هذه كلها لا تُنتج تقديرًا ذاتيًا صحيًا ولكنها صفات جيّدة لطريقة تربية الأهل. وتكتسب أحكام الأتراب أهمية متزايدة. وفي أواخر مرحلة المراهقة (١٦-١٩) يساهم دعم زملاء الصف ودعم صديق مقرب في زيادة التقدير الذاتي والقيمة الشخصية.
- يُعتبر الإدراك الصحي للذات أو تقديرها عنصرًا أساسيًا في بحثهم عن الهوية. إن الشبيبة يطرحون هذه الأسئلة باستمرار وكل ما يفعلونه هو إيجاد الأجوبة لما يلي:
- «من أنا؟»
 - ما هو هدف وجودي؟

• ماذا سأفعل بحياتي؟

• ما الذي يميّزني عن الآخرين؟»

يخصّ Erickson في نظريته عن التطور النفسي-الاجتماعي سنوات المراهقة بمرحلة النمو الخامسة الحاسمة التالية:

الهوية بمواجهة اختلاط الأدوار. عادةً ما يجرب الشبيبة أدوارًا مختلفة محاولين اكتشاف من هم. والشبيبة الذين لا يصلون إلى نتيجة يعانون اختلاط الأدوار وأزمة مستمرة في اكتشاف ذاتهم الحقيقية. وكما سوف تلاحظ، أنّ النمو أثناء المراهقة يتلخص في هذه النقطة – الشبيبة يبحثون عن هوياتهم. ويظهر هذا عندما يريدون التفوق في ناحية تثير اهتمامهم. قد يرغبون البدء في ممارسة رياضة ما أو تعلم العزف على آلة موسيقية أو أن يتميزوا في الأداء المدرسي الجيد. وفي الشرق الأوسط يتمّ التشديد على الأداء المدرسي، ونميل إلى المبالغة في زيادة التشديد على الأداء الأكاديمي إلى درجةٍ غالبًا ما يشعر الشبيبة معها أنّ قيمتهم تتوقف على علاماتهم. إنّ إدراك أن الشبيبة يبحثون عن هوية يجعل دورنا محددًا على نحوٍ أفضل لأننا نعرف ما هم بحاجة إليه. وطالما تمكنا من النظر إلى أبعد من تسريحة شعرهم وأساليب اللباس لديهم وسلوكهم السوقي أحيانًا وربما كسلهم المتناقل وتأرجح مزاجهم وذوقهم الموسيقي، وهوسهم (أو ما يبدو أنّه هوسهم) بالحاسوب والانترنت، ورغبتهم في المازح وتحدي القوانين—تكون الأمور على ما يرام! والحقيقة هي، أننا في الخدمة المسيحية بين الشبيبة نريد أن نعرف الشبيبة بالإله الذي يقدرهم ويهتم لأمرهم بغض النظر عن شكلهم وسلوكهم. كان يسوع مثالاً في قبوله الجميع ومحبته تجاههم، وفي يسوع نفسه سيجد الشبيبة جميعهم السلام والأمان بصرف النظر عن العالم من حولهم. والمسيح قد أحبّ حتى حتى المزاجيين والكسالي والذين شعرهم وردي اللون والمدخنين، والذين يحبّون وبذيئ اللسان، هؤلاء الذين قد لا يكون مريحًا بهم في كنايسنا. «الهافي ماتل» موسيقى إنّ الشبيبة الذين يعيشون في الشرق الأوسط يعانون ضغوطات إضافية من حيث أزمات الهوية. فمن جهة هم يشكلون جزءًا من مجتمعات مترابطة، تقوم على الإكراه والانتماء والعادات والولاء للعائلة... ومع ذلك، وفي الوقت نفسه، لديهم الحرية» التي من ضمنها الأفكار السلبية كالفردية والافتقار إلى المسؤولية. إن هذه «الأمور الغربية» طريقة وصول لكل التي يراها الشبيبة في الغرب جذابة، ومع ذلك يشعرون أنّهم مقيدون بجذورهم التاريخية. وبالنسبة إلى العديد «المزعومة من الشبيبة يزيد هذا الأمر من الضغط والتوتر لديهم ووسط إطار عائلاتهم ومجتمعاتهم.

الهوية والعلاقات بين الأفراد

أثناء بحث الشبيبة عن هوية، يقومون بتطوير علاقاتٍ أعمق مع أترابهم ويغيرون بطريقة ما محور عالمهم من والديهم وحياتهم العائلية إلى أصدقاءهم وحياتهم الاجتماعية. ويكونون بحاجة إلى الشعور بالقبول من قبل مجتمعهم وإلى علاقات حميمة. وفي مرحلة المراهقة المبكرة حتى المتوسطة يقوم الشبيبة بالبحث عن مجموعة ينتمون إليها يكون لديها الإيمان نفسه والاهتمام نفسه (وربما يكون ذلك أنهم جميعاً مشجّعون لفريق كرة القدم البرازيلي!). إن لم يكن لدى الشبيبة مجموعة ينتمون إليها، يمكن أن يشعروا بعزلة شديدة وإحباط. سيشعرون بأنهم منبوذون من المجتمع مما يؤدي إلى الوحدة وربما إلى الإحباط. لا يبحث الشبيبة عن القبول من الناضجين فحسب، بل من أترابهم أيضاً، لذا، قد يصادقون أحيانًا أترابًا مختلفين بشدة عنهم ولكن الحقيقة هي أنهم يشعرون

بالقبول من هؤلاء أو أنهم يريدون التمثّل بهم فيقومون بمرافقتهم نجد بين الصبيان والبنات وبين أنواع الصداقات التي يقيمونها فرقا نوعياً ناجماً عن الجنس. فالبنات يملن إلى امتلاك أصدقاء أقل ويستطعن إقامة علاقات حميمة أكثر من الصبيان. بينما الصبيان ليسوا حميمين مثلهم بمشاعرهم ويميلون إلى امتلاك أصدقاء أكثر من الفتيات. طبعاً، نشهد في هذه المرحلة أيضاً العلاقات الرومانسية مع الجنس الآخر والتي تشكّل عالماً رئيساً لهم. إنّ الشبيبة هم أيضاً مخلوقات جنسية يشعرون بانجذاب إلى الرومانسية. إنّ جزء من الاختبار الجديد الذي يعيشونه وهم ينضجون ويكتشفون الحرية المستجدة في أخذ الخيارات وإمكانية اتخاذ الخيارات البالغة فيما يختصّ بالعلاقات الرومانسية. وللأهل أهميّة كبيرة في هذه المرحلة من الحياة على الرغم من تقلص اعتماد الشبيبة عليهم بالمقارنة مع طفولتهم. فيتغيّر دور الوالدين، وعندما يدرك الأهل ذلك، يسهل ذلك عليهم تربية أولادهم المراهقين. يصبح دورهم الدعم والاستماع والتهديب والتشجيع. إذا لم يستمع الأهل لأولادهم، فسيجد من يستمع إليه، وغالباً لا يكون الشخص الذي يجده يريدهم الأفضل. هذا لا يعني ألا يضع الأهل حدوداً وقوانيناً لأولادهم، لكن يجب أن يعاملوهم كمناضجين صغار، مُحترمين خياراتهم ومتقبّلين لحقيقة كونهم أفراد مختلفين وفريدين قد لا يكونون مهذبين بمستوى أشقائهم أو أولاد الناس الآخرين. وهم لا يريدون مقارنة بأي شخص أو الانتقاص منهم لمجرد كونهم هكذا. فعندما يشعرون بعدم الاحترام أو التهديد بأي شكل، سيقومون بدورهم بعدم احترام الذين يكبرونهم سن نحن في الشرق الأوسط، نحبّ الأطفال، لكننا نشعر بالتحدي لدى تعاملنا مع المراهقين. بإمكان الأهل الاستمرار بفرض القانون لكن الكتاب المقدس يحذرننا من إغاطة أولادنا (أفسس ٦: ٤)، كذلك لا يجب احتقارهم لأنهم صغار بعد، بل على الأهل أن يكونوا مثلاً جيّداً بإيمانهم (١ تيموثاوس: ٤: ١٢). وسيظلّ الأهل يتمتعون بدور مهم لأنّ ذلك هو دورهم المعطى لهم من الله في حياة أولادهم.

النموّ الروحي

كيف يمكن جعلّ النموّ الروحي جزءاً من تجربة المراهقة؟ إن امتزاج المراهقة بالروحانية صعب. وفي عالم تحدّد فيه وسائل الإعلام والأتراب ما هو "رائع وممتاز وعلى الموضة"، يجد الله والكنيسة صعوبة في التكيف مع "ثقافة الشبيبة". نعرف أنهم يحتاجون إلى الله، لكنهم يحتاجون أيضاً إلى أترابهم وعالمهم الخاص حيث يستطيعون التعبير عن ذاتهم بحرية.

وبحسب قاموس شائع الاستعمال، تُعرّف ثقافة الشبيبة على أنّها التالي: "مصطلح غير دقيق لظواهر الفروع الثقافية المتنوّعة المرتبطة بالشبيبة كمجموعة اجتماعية. وقد يعارض هؤلاء الأمور السائدة في حياة البالغين بأنماط اللباس المميزة والنوق الموسيقي المميز". غالباً ما يُنظر إلى ثقافة الأحداث على أنها سيئة وهدامة وتتعارض مع ما هو سائد في حياة البالغين، ومع ذلك، فإنّي أتحدّى هذه الفكرة. يميل البالغين إلى عدم استساغة معظم ما يلبسه الأحداث والموسيقى التي يصغون إليها وأجهزة ال أم.بي. ثري. (MP3) التي أصبحت جزءاً من تكوينهم وإرسال الرسائل النصية إلى أصدقائهم. عندما لا نتقبّل أنّ الشبيبة يشكّلون جزءاً من عالم (ثقافتهم الشبيبة الخاصة) الذي نحن لسنا جزءاً منه، نعطي بذلك إشارات أننا لا نتقبّل حياتهم والأمور التي يحبّون. غالباً ما نُجبر الشبيبة على عيش حياة مزدوجة، فهم يتصرّفون على نحوٍ معيّن مع أصدقائهم بينما يتصرّفون بطريقةٍ مختلفةٍ كلياً مع والديهم ومعلميهم والعاملين مع الشباب. ونتيجة ذلك غالباً ما يصبح الأتراب السلطة

العليا. إننا برفضنا ثقافة الشبيبة نرفض أيضاً وسائل الشبيبة في التعبير عن ذاتهم بواسطة الموسيقى والموضة والإبداع التي وضعها الله فيهم.

إن أتباع الله وإقامة علاقة نامية مع يسوع ليس أمراً أسهل للمراهقين مما هو للبالغين. فلكي يفكر المراهقون جدياً بحياة إيمان متجدر، يحتاجون إلى قدوة ومثال جيد والى بيئة اجتماعية تدعم عالمهم. ومن السهل جداً اتباع القوانين، بينما نحيا في دواخلنا حياة مختلفة جداً. إن الروحانية قضية داخلية. لقد شدد أريكسون Erickson على أهمية تطوير الهوية التي اعتبرها القضية المركزية في المراهقة. لا نستطيع تعليم الإيمان كعقيدة فحسب، بل نستطيع أيضاً تقديم قدوة حياتية للجيل الأكثر شباباً. ليس ذلك لأننا نملك كل الأجوبة ولا لأننا كاملين، بل لأننا حقيقيون ويسوع حقيقي في حياتنا. لقد قال المسيح أن أتباعه سيكون صعباً ولم يقل أننا سنحيا حياة سهلة. فإن أظهرنا للشبيبة بأي شكل من الأشكال أن الحياة سهلة وأننا نعرف كل شيء عنها، فلن نكون حقاً صادقين. يستطيع الشبيبة أن يكونوا، روحانيين، بل هم روحانيون جداً. لقد كان الملك داوود مراهقاً عندما انتصر على جوليات وعندما عينه الله ليحكم شعبه. وكانت مريم العذراء شابة صغيرة عندما اختارها الله لتلد يسوع. فالله يستطيع استعمال الشبيبة وهو يستعملهم. يجب علينا ألا نستخف بالشبيبة وبرغبتهم إلى الله نحن جميعاً مخلوقون لعبادة الله وهو لا يضع حداً ذاته له عمرياً لذلك، فكل بحسب طاقته قادر على محبة الله وتقديم ذاته له.

إدًا، هل القول المُقتبس الذي نقرأه في أول هذا الفصل يشكل ملاحظة صحيحة عن الشبيبة؟ حسناً، إن الشبيبة عاطفيون؛ فهم يستعملون مشاعرهم في تكوين أحكامهم، غير أن تجاهل حقيقة أنهم أيضاً كائنات مُفكرة يضع قيوداً عليهم وعلى قصد الله من هذه المرحلة العمرية. إن هذا يقلل أيضاً من قيمة كل ما تعلمه الشبيبة في حياتهم. عندما نقول أن الشبيبة ليسوا سوى كائنات عاطفية، فهذا يحد من قدراتهم الذهنية وقدرتهم على الاستماع إلى الإرشاد. إن الشبيبة يسمعون فعلاً لوالديهم ومعلميهم وكل النصح والتوجيه الذي يقدمونه لهم. نعم، إنهم يرتكبون وسيرتكبون الأخطاء، غير أنهم أيضاً سوف يتخذون قرارات جيدة وحكيمة. يجب ألا نقيم الشخص بكامله بناءً على أخطاء ارتكبها بل نعطيهم مجالاً لينموا. لا يعني ذلك أنه يجب علينا الجلوس في أمكنتنا فحسب وتشجيعهم على ارتكاب الأخطاء، بل نتركهم يشعرون بمحبتنا وتقبلنا لهم حتى عندما يرتكبون الأخطاء. حقاً، مَنْ مِنَّا كان يستطيع الوقوف لولا نعمة الله؟

يا له من شرف أن يكون المرء جزءاً من حياة أحد الشبيبة! يا له من شرف لنا، ليس لهم، أن يسمحوا لنا أن نكون جزءاً من تحليقهم وإحباطهم، جزءاً من صراحتهم وأفراحهم وأحزانهم. ماذا لو أننا لا ننظر إلى أكثر الشبيبة استنزافاً لنا-ذلك الذي يدمر نفسه معظم الأحيان، ثم الآخرين-على أنه فارغ، بل على أنه شخص يبحث عن الحق—عن حقيقة نفسه وما يعنيه للآخرين، وعن غاية وجوده على هذه الأرض.